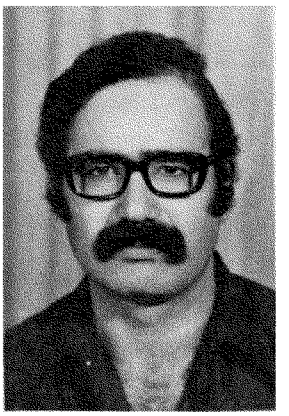

علي الخليلي

تجربتي مع الآداب

ربما كان ذلك في العام ١٩٥٩ ، حين قرأت ، صدفة، احد اعداد مجلة « الآداب » . كنت طالبا في المرحلة الثانوية بمدينة نابلس ، أحاول ان اشكل ثقافتي الادبية ، حسب امكاناتي المادية الضئيلة ، من مكتبة المدرسة (الصلاحية) ومن مكتبة متواضعة جدا في الحي القديم تعير الكتاب لمدة يوم واحد مقابل عشرة فلوس . ولكن ذلك العدد من مجلة الآداب علمني ، في لحظات ، اشياء كثيرة: ان هناك نافذة كبيرة مغلقة ، وقد انفتحت الآن . وعي ادبي متوتر عبوس في داخلي ، لمسته ، الآن . كنت انشر ما اكتبه تقليديا تماما في الجرائد المحلية . ولكنني بعد ان نقلت الى ورقة في جيبي عنوان المجلة ، بدأ سيل قصائدي الى الدكتور سهيل ادريس . كانت ، بالتأكيد ، تقليدا لقصائد العدد نفسه . ولم اكن املك ثمن شراء المجلة ، وهكذا في كل شهر ، كنت امرّ باحدى المكتبات الجديدة في مدينتي،واتصفح « الآداب » فلا اجد طبعا ، اسمي في الفهرس ، فأغضب ، واكتب الى الدكتور ادريس معاتبا . مقابل هذا الغضب والعتاب ، اصبحت ، من خلال « الآداب » اقرأ وأفهم الادب ، والشعر الحديث بخاصة ، بطريقة جديدة ، واستلهام جديد . كنت اكتشف حماسي الوطني في ذلك ، كما كنت اكتشف نفسي داخل اسماء شعراء عرب كبار يحبّرون صفحات مجلة الآداب .

ثم سافرت الى السعودية ، وفي اعماقي حلم مجلة الآداب . فجأة ، وجدت نفسي منقطعا عنها ، لمدة سنتين، في القرى النائية ، حتى استطعت ، في يوم جميل ، ان اكتشف لدى مكتبة قديمة في مدينة الهفوف بالاحساء مجموعة قديمة من اعداد المجلة . اشتريتها كلها واعتبرت ذلك مكسبا حقيقيا لثقافتي الادبية . بعد سنة ثالثة من « المنفى » عدت الى بلدي نابلس ، وثابرت على قراءة الاعداد التي تصل الى البلد . ومن حين الى آخر ، اكاتب الدكتور ادريس ، وارجوه ان ينشر واحدة من قصائدي ، دون جدوى ! فانقطعت عن الكتابة اليه ، وحرقت عشرات القصائد التي لديّ ! ولكنني لم انقطع لحظة واحدة عن قراءة « الآداب » ،وعن مناقشة قصائدها وقصصها وابحاثها مع الاصدقاء . توقفت عن الكتابة الادبية ، حتى حرب ١٩٦٧ ، حين عدت اليها مرة ثانية ، وانا افكر في كيفية الاتصال بالآداب، خارج سور الاحتلال ،لانشر فيها ! .

خرجت من فلسطين الى ليبيا . وهناك ثابرت على قراءة « الآداب »بكثافة،وبعناد من يريد ان يكتشف ثقله الادبي من جديد . قلت في احدى رسائلي الى الدكتور ادريس : ان النشر في مجلة الآداب ، سيكون ، الآن بمثابة موقف نقدي لتجربتي الادبية ، فاذا نشرت قصيدتي المرفقة ،فسوف استمر . والا ، فانني لن اكتب مقطعا شعريا واحدا في المستقبل . كان ذلك قراري . وكنت صادقا مع نفسي . احسست بارتياح . وانتظرت النتيجة بهدوء تام . فقد عانيت كفايتي من العذاب . بعد ثلاثة اشهر ، كانت قصيدتي منشورة في الآداب في العام ١٩٧١. فرحت كثيرا . فرحت كطفل . وكتبت الى الدكتورسهيل ادريس عن هذا الفرح . لم اكن قد عرفته حتى ذلك الحين ، وجها لوجه . ولم اكن قد زرت مكتب المجلة في بيروت ، الا بعد سنتين .

منذ ذاك الوقت ، اكتفي بقصيدة او قصيدتين في الآداب كل عام ، فقد قدّمتني « الآداب » بطموح حقيقي، وثقة متماسكة ، الى مجلات عربية اخرى ، مما يعزز اهمية الريادة لمجلة ـ الآداب ـ .

انني احمل حبي لمجلة الآداب على جهة القلب تماما، واعتبر ان ربع قرن من عمل الدكتور سهيل ادريس في خلق وتثبيت واستمرارية ونضالية مجلة الآداب ، هو زمن اصيل في تاريخنا الادبي التقدمي المعاصر ، في الوطن العربي كله .